الملوك
والخلفاء
والأمراء

obeikandl.com

obeikandl.com

قيس بن مسعود

قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن عبدالله ذي الجدين، من بني ذهل ابن شيبان، من ولاة الجاهلية وله شعر، كان من عمال كسرى هرمز بن أبرويز على «الأُبُلّة» و «طف العراقين»، وعندما أقطعه كسرى الأبلة وما والاها كانت له حجرة فيها مائة من الأبل لأضيافه، وكانت إذا نحرت ناقة، أقيدت أخرى، وهو الذي عناه الشاعر الشماخ بقوله:

فأدفع بألبانها عنكم كم دفعت

عنهم لقاح بني قيس بن مسعود

قال المرزباني: وكان قيس بن مسعود ضمن لكسرى أحداث بكر في وائل، فتعبثت بكر بأصحاب كسرى، فكتب إليه، غررتني من قومك، وحبسه بإيوان حلوان حتى مات في حبسه، ثم أخذ كسرى في تعبئة جيوشه لذي قار، فنظم قيس أبياتاً ينذر بها قومه، ويوصيهم بنبذ ما بينهم من خصومات ويقول فيها:

ألا أبلغ بني ذهل رسولاً

فمن هذا يكون لكم مكاني

ويقول أيضًا:

ألا من مبلغ قومي ومن ذا

يبلغ عن أسير في الأوان

تطاول ليله وأصاب حزنًا

ولا يرجو الفكاك مع المنان

وقال أيضًا:

ألا ليتني أرشو سلاحي وبغلتي

لمن يخبر الأبناء بكر بن وائل

وصاة امرئ لو كان فيكم أعانكم

على الدهر والأيام فيها الغوائل

فإياكم والطف لا تقربنه

ولا البحران الماء للبحر واصل

ولا أحبسنكم عن بغا الخير إنني

سقطت على ضرغامة وهو آكل

مصادر ترجمته وأخباره:

الكامل في التاريخ لابن الأثير: (١ / ٤٨٧، ٤٨٩)

تاريخ الطبري: (٢ / ٢٠٥ / ٢٠٧ / ٢١٢)

الأغاني: (٢ / ٢٩) و (٢٠ / ١٣٢، ١٣٣، ١٤٠)

معجم الشعراء للمرزباني: (ص١٨٠ ـ ١٨١)

الأعلام: (٥ / ٢٠٨).

obeikandl.com

النعمان بن المنذر

من أشهر ملوك الحيرة، وكانت مدة ملكه اثنتين وعشرين سنة، وهو الذي يقال له: «أبيت اللعن» وهو ممدوح الشعراء، مدحه منهم النابغة الذبياني وفيه يقول:

أخلاق مجدك جلّت ما لها خطر

في الجود والناس بين العلم والخبر

متوّج بالمعالي فوق مَفْرقه

في الوغا ضيغم في صورة القمر

وحينما أنشده هذه الأبيات تهلل وجه النعمان، ثم أمر فحشي فوه جوهرًا، ثم قال: بمثل هذا فلتمدح الملوك.

وهو الذي قتل عبيد بن الأبرص الشاعر المشهور في يوم بؤسه، وفي ذلك يقول عبيد:

أقفر من أهله عبيدُ

فاليوم لا يبدي ولا يُعيد

وكان يقال لأبناء المنذر بن المنذر الأشاهب لجمالهم، إلا ما كان من النعمان، فقد كان أحمر أبرش (أرقط) قصيرًا، وبعد وفاة أبيه المنذر ولاه كسرى أمر العرب، بتدبير من عدي بن زيد أحد تراجمة كسرى وكتابه، فكساه كسرى وألبسه تاجًا قيمته ستون ألف درهم، مرصعًا باللؤلؤ والذهب.

وعندما تولى الملك وشى الواشون من أعداء عدي به إلى النعمان، فأرسل إليه يطلب زيارته، فلما قدم عليه سجنه، ثم قتله غمًا بوسادة، وكان عديٌّ يكتب إليه من السجن أشعارًا يستعطفه بها، ومنها:

إن للدهر صولة فاحذرنها

لا تبيتن قد أمنت الدهورا

قد يبيت الفتى معافى فيردى

ولقد كان آمنًا مسرورا

وحدث أن أراد كسرى نساء على صفات معينة، وأن هذه الصفات في بنات النعمان وبنات عمه وأهله، فعندما قدم الرسول على النعمان وقرأ عليه تلك الصفات، قال: أما في عين السواد وفارس ما تبلغون حاجتكم؟

أي: أما في بقر السواد وفارس ما يكفيكم.

وعندما علم كسرى برده اضمر له الشر، ثم بعث إليه يطلب منه القدوم عليه، فعندما وصل إليه النعمان أرسل إليه من قيّده وبعث به إلى السجن، حتى وقع الطاعون فمات فيه.

وقيل: بل طرح به تحت أرجل الفيلة، فداسته حتى قتلته، وقرب للأسود فأكلته.

وكان قد أودع أموالاً عند هانئ بن مسعود قبل قدومه على كسرى، فلما قتله طلبها منهم، فرفضوا تسليمها، وكان ذلك سبب وقعة ذي قار، وفيها يقول الرسول ﷺ: هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم، وفي ذلك يقول زهير بن أبي سلمى:

obeikandl.com

ألم تر للنعمان كان بنجوة

من الدهر لو أن امرأ كان ناجيا

فغير عنه ملك عشرين حجة

من الدهر يومًا واحداً كان غازيا

فلم أر مسلوبًا له مثل ملكه

أقل صديقًا معطيًا ومواسيا

خلا أن حيًا من رواحة حافظوا

وكانوا أناسًا يتقون المخازيا

يسيرون حتى جيّشوا عند ثأره

هجان المطايا والعتاق المذاكيا

فجازاهم خيراً وأثنى عليهم

وودعهم توديع أن لا تلاقيا

ومما قالوه في رثائه:

لم تبكه هند ولا أختها

خرقاء واستعجم ناعيه

بين فيول الهند تخبطنه

مختبطاً تدمى نواحيه

وجاء في مروج الذهب ما نصه: «وقد كانت خرقاء بنت النعمان بن المنذر إذا خرجت إلى بيعتها يفرش لها طريقها بالحرير والديباج، مغشى بالخرز والوشي، ثم تقبل في جواريها حتى تصل إلى بيعتها وترجع إلى منزلها، فلما هلك النعمان كلها الزمان فأنزلها من الرفعة إلى الذلة».

obeikandl.com

مصادر ترجمته وأخباره:

تاريخ الطبري: (٢ / ١٩٣ ـ ٢٠٦).

الكامل في التاريخ: (١ / ٤٨٢ ـ ٤٨٨).

تاريخ اليعقوبي: (١ / ٢١٢ ـ ٢١٥).

مروج الذهب: (٢ / ٢٤ ـ ٢٧).

الأعلام: (٨ / ٤٣).

obeikandl.com

الفِهْري

(٣٣ ـ ١٢٣ (١٢٥) هـ)

عبدالملك بن قَطَن بن نهشل بن عبدالله الفهري، أمير الأندلس، وأحد القادة الشجعان له في كل سنة غزوة، شهد وقعة الحرّة بقرب المدينة في أيام يزيد بن معاوية سنة ٦٣هـ ، وتسمى حرة واقم، ونجا من مسلم بن عقبة فيمن نجا، ثم استقر بقرطبة وتولى الأندلس سنة ١١٤هـ، وبعد مقتل أميرها عبدالرحمن الغافقي، ثم عزله أمير إفريقية سنة ١١٧هـ، وولى عقبة بن الحجاج فلم يخرج الفهري منها، وبقي إلى أن توفي عقبة، فنادى به أهل الأندلس أميرًا عليهم، وجاءه بلج بن بشر، لاجئًا من إفريقية في جمع غير قليل، فكاتب عبدالملك بن قطن، وذكر له ما صار إليه من الجهد، وأنهم قد أكلوا دوابهم، فأدخلهم عبدالملك الأندلس واشترط عليهم المقام سنة ثم يخرجون، وواساهم أهل الأندلس بما يستطيعون، ثم أباد ابن قطن البربر بالأندلس بمن كان معه من العرب، وبأصحاب بلج، ودعاهم إلى الخروج من الأندلس، فطلبوا منه مراكبًا ليحملهم فلم يعطهم، وحينما ألحّ عليهم في الخروج ثاروا عليه، وأخرجوه من القصر.

يقول ابن الأثير معلقاً على هذه الحادثة: «فلما ظفر بلج بعبدالملك أشار عليه أصحابه بقتل عبدالملك، فأخرجه من داره وكأنه فرخ لكبر سنه، فقتله وصلبه وتولى الأندلس، وكان عمر عبدالملك تسعين سنة».

ويقال: إنه صلب بصحراء رَبَض قرطبة، وصلبوا عن يمينه خنزيراً وعن يساره كلباً، ثم سرقه مواليه بالليل وغيبوه، وكان المكان يعرف بعد ذلك بمصلب ابن قَطَن.

مصادر ترجمته وأخباره:

الكامل لابن الأثير: (٥ / ١٧٤، ١٨١، ١٨٥، ١٩٢، ٢٥٠، ٢٥١، ٤٩٠، ٤٩١).

نفح الطيب: (١ / ٢٣٦، ٣ / ١٨ ـ ٢٠).

البيان المغرب: (٢ / ٢٨، ٣٠ ـ ٣٣).

الأعلام: (٤ / ١٦٢).

obeikandl.com

أبو مسلم الخراساني

(١٠٠ ـ ١٣٧ هـ)

هو أبو مسلم عبدالرحمن بن عثمان الخراساني، مسقط الدولة الأموي، ومنشئ الدولة العباسية، وهو من أعظم الملوك، يقول فيه المأمون العباسي: أجل ملوك الأرض ثلاثة الذين قاموا بنقل الدول، وهم الإسكندر، وأزدشير وأبو مسلم.

ونعته الإمام الذهبي بقوله: «كان من أكبر الملوك في الإسلام، كان ذا شأن عجيب ونبأ غريب، من رجل يذهب على حمار بإكاف من الشام حتى يدخل خراسان، ثم يملك خراسان بعد تسعة أعوام، ويعود بكتائب أمثال الجبال، ويقلب دولة ويقيم دولة أخرى».

وقد رأى أبوه وأمه حامل به أنه خرج من إحليله نار، ارتفعت في السماء وسدت الآفاق، فأولها بعض الناس له: بأن في بطن جاريته غلاماً.

وحينما شب نشأ أديبًا أريبًا يضرب به المثل، وخدم إبراهيم الإمام ، والذي كان أخاً لأبي العباس السفاح، وكان به معجبًا، وولاه أمر خراسان، وبعد قتل إبراهيم الإمام، صار أبو مسلم داعية لأبي العباس السفاح.

وعندما تولى الأمر كان له من العمر ثماني عشرة سنة، وكان كثيرًا ما ينشد:

أدركت بالحزم والكتمان ما عجزت

عنه ملوك بني مروان إذ حشدوا

مـا زلت أسعـى بجهـدي في دمـارهم

والقـوم في غـفلة بالشـام قـد رقـدوا

حـتى ضربـتهم بالسـيف فـانتبـهـوا

من نـومـة لـم ينمـهـا قـبلهم أحـد

ومن رعـى غنمًـا في أرض مـسـبـعـة

ونام عنهـا تـولى رعـيـهـا الأسـد

وكان عجيب الصفات تأتيه الفتوحات العظام فلا يفرح، وتنزل به الحوادث المفـزعـات فـلا يتـرح، ولم يـر ضـاحكاً ولا مـازحًـا إلا في وقـتـه، ومع هذا تكبـر وتطاول، وبدرت منه بوادر أنكرها عليه أبو جعفر المنصور، وما زال يحتال حتى أقدمه وقتله، وعندما قدم عليه ومعه غلمانه وحشمه وخدمه وعليهم الديباج والذهب ومن كل ما نفس وغلا، سمع أبو مسلم قائلاً يقول:

سيأتيك ما أفنى القرون التى مضت

ومـا حلّ في أكناف عـادٍ وجـرهم

ومن كـان أقـوى منك عـزًا ومـفـخـرًا

وأقـيـد للجـيش اللُّهـام العـرمـرم

فبكى أبومسلم ولم يحر جوابًا ... وفيه يقول أبو دلامة:

أبا مـجـرم مـا غـيّـر الله نعـمـة

على عـبـده حـتى يغـيّـرها العـبـدُ

أفي دولة المنصـور حـاولت غـدرة

ألا إن أهـل الغـدر آبـاؤك الكـرد

أبا مجرم خوفتني القتل فانتحى

عليك بما خوفتني الأسد الورد

ويقال إنه بلغ هذه الغاية وله من العمر ست وثلاثون سنة ولكن:

أين الشباب وعيشنا اللّذ الذي

كنا به زمنًا نسر ونخذل

ذهبت بشاشته وأصبح ذكره

حزنًا يعلّ به الفؤاد وينهل

مصادر ترجمته وأخباره:

وفيات الأعيان: (٣ / ١٤٥ ـ ١٥٥).

سير أعلام النبلاء: (٦ / ٤٨ ـ ٧٣).

شذرات الذهب: (٢ / ١٣١ ـ ١٣٤).

المنتظم: (٨ / ١٧ ـ ١٩).

العبر في خبر من غبر: (١ / ١٨٦).

البداية والنهاية: (١٠ / ٦٧ ـ ٧٣).

تاريخ ابن جرير: (٨ / ٤٧٩ ـ ٤٩٤).

تاريخ بغداد: (١٠ / ٢٠٧ ـ ٢١١).

الأعلام: (٣ / ٣٣٧).

obeikandi.com

المستعين بالله

(٢٢١ ـ ٢٥٢ هـ)

هو أبو العباس أحمد بن المعتصم بالله محمد بن هارون الرشيد، من خلفاء الدولة العباسية، تولى الخلافة وعمره ثمان وعشرون سنة، وكان في بداية أمره خاملاً، يرتزق من النسخ، وعندما جاءته الخلافة بغتة قال:

جـــــــاء لـطـف الـلـه بـالأمـــ

ـــر الـذي لا أرتجـــــــيـــــــه

فـــــعـلـيّ الـيـــــوم أن أقـــــــ

ـــضي حـق الـلـه فـــــــيـــــــه

وعندما تولى الخلافة سجن المعتز والمؤيد، واشترى أملاكهما كرهًا، وقد عُرف عنه السرف فكان متلافًا للأموال، اضطربت أمور الخلافة بولايته، وكان الترك قد نقموا عليه أمورًا، وحينما أحس بشرِّهم هرب إلى بغداد، ثم عمدوا إلى السجن فأخرجوا المعتز منه، وحدث بين المعتز والمستعين حرب وبلاء انحل فيها نظام المستعين ثم خُلع، فقال عند ذلك:

كل ملـك مـــصـــيـــره لذهاب

غـــيـــر ملك المهـــيـــمن الوّهاب

كل مـــــا قـــــد ترى يـزول ويـفـنـى

ويجـازى العـبـاد يوم الحـســاب

ثم اعتقل بواسط تسعة أشهر، وبعث إليه المعتز من قتله بالسوط ثم قعد على صدره وذبحه، وقيل: بل رُكّب في زورق وشدّ في رجليه حجر ثم أغرق.

مصادر ترجمته وأخباره:

تاريخ الطبري: (٩ / ٢٤٨ ـ ٣٥٠) و (٣٦٢ ـ ٣٦٣).

تاريخ بغداد: (٥ / ٨٤ ـ ٨٥).

الكامل لابن الأثير (٧ / ١١٧ ـ ١١٨، ١٦٧ ـ ١٦٨، ١٧٢ ـ ١٧٣).

العبر: (٢ / ٨ ـ ٩).

الوافي بالوفيات: (٨ / ٩٣ ـ ٩٦).

البداية والنهاية: (١١ / ٢ و ١١).

تاريخ الخلفاء: (٣٥٨ ـ ٣٥٩).

شذرات الذهب: (٣ / ٢٣٦ ـ ٢٣٨).

سير أعلام النبلاء: (١٢ / ٤٦).

مروج الذهب: (٤ / ٩٠، ١٠٦ ـ ١٠٩).

obeikandl.com

المنتصر بالله

(٢٢٣ ـ ٢٤٨هـ)

هو أبوجعفر محمد بن المتوكل على الله جعفر بن المعتصم محمد بن هارون الرشيد من خلفاء الدولة العباسية، وحدث أن المتوكل أراد نقل العهد من ابنه المنتصر إلى ابنه المعتز لمحبته لأمه؛ وطلب منه أن ينزل عن ولاية العهد لأخيه، فأبى، فكان يحضره مجالسه ويتهدده ويشتمه ويشتم أمه، فأثرت هذه الأمور في نفسه تأثيرًا شديدًا، فعمل مع مماليكه على قتل أبيه، وهو أول خليفة من خلفاء الدولة العباسية عدا على أبيه، ومع ذلك لم يمتع بالخلافة، فقيل: إنه جلس مرة للهو، فرأى في بعض البسط دائرة فيها فارس عليه تاج، وحوله كتابة فارسية، فطلب من يقرأ له، فإذا فيها أنا شيرويه بن كسري بن هرمز، قتلت أبي فلم أمتع بالملك سوى ستة أشهر، فتغير وجهه وقام.

وفعلاً كانت مدة خلافته ستة أشهر وأيام، وهذا من عجيب الموافقات، وقد كان يتذكر قتله لأبيه كثيراً فترعد فرائصه، ويقول: لقد عوجلت فما أذني بأذني، ولا أبصر بعيني، ومن ذلك قوله لأمه: ذهبت يا أماه مني الدنيا والآخرة، عاجلت أبي فعوجلت، ومن إنشاده قوله:

فما متعت بدنيا أصبتها

ولكن إلى الرب الكريم أصير

وما كان ما قدمته وأي فلتة

ولكن بفتياها أشار مشير

وكان يكره الأتراك كثيرًا، ويقول: هؤلاء قتلة الخلفاء، فأعطوا طبيبه ابن طيفور ثلاثين ألف دينار، فسم ريشة ثم فصده بها فمات، وقيل: بل سُم في كمثراة بإبرة، وقيل: بل أصابه مرض فمات بالذبحة في حلقه، أو بورم في معدته.

وهكذا كان جزاؤه من جنس عمله، وقد مات في سن الشباب والفتوة وله من العمر ست وعشرون سنة، ومن شعره قوله:

متى ترفع الأيام من قد وضعته

وينقاد لي دهر عليّ جموح

أعلل نفسي بالرجاء وإنني

لأغدو على ما ساءني وأروح

مصادر ترجمته وأخباره:

تاريخ الطبري: (٩ / ٢٣٤ ـ ٢٣٩، ٢٥١ ـ ٢٥٥).

تاريخ بغداد: (٢ / ١١٩ ـ ١٢١).

الكامل في التاريخ: (٧ / ١١٤ ـ ١١٦).

تاريخ الخلفاء للسيوطي: (ص: ٣٥٠، ٣٥٦، ٣٥٨).

سير أعلام النبلاء: (١٢ / ٤٢).

العبر في خبر من غبر: (١ / ٤٥٢ ـ ٤٥٣).

الوافي بالوفيات: (٢ / ٢٨٩ ـ ٢٩١).

شذرات الذهب: (٣ / ٢٢٤ ـ ٢٢٦).

الأعلام: (٦ / ٧٠).

obeikandl.com

المعتز بالله

(٢٣٢ ـ ٢٥٥هـ)

أبو عبدالله، أحمد بن المتوكل جعفر بن المعتصم محمد بن الرشيد هارون العباسي من خلفاء الدولة العباسية.

استخلف وله عشرون سنة، فقال حين بويع:

تفـرد لـي الرحـمن بـالعـز والـتـقى

فـأصـبـحت فـوق العـالمين أمـيـرا

كان جيد الذهن، حسن الأدب، أثنى عليه الإمام أحمد رحمه الله تعالى بذلك، وعندما تولى خلع أخاه إبراهيم الملقب بالمؤيد من ولاية العهد وحبسه، ثم طلب منه الجند أرزاقهم، فطلب من أمه «قبيحة» مالاً لينفقه فيهم، وكانت ذات أموال عظيمة، فبخلت عليه بذلك، فاجتمع الجند وضربوه وأقاموه في الحر حتى خلع نفسه، ثم أخذوه ومنعوا عنه الطعام والشراب، وعندما عطش سقوه ماء ثلج فسقط ميتًا.

ويقال: إنه عندما كان مسجونًا دخل عليه البحتري وقال:

جـعلت فِـداك الدهر ليس بمنفك

من الحـادثات المشكو أو النازل المشكي

ومـــــــــا هـذه الأيـام إلا مـنـازل

فـــمن مـنـزل رحبٍ إلـى منـزل ضنـك

وقـــد هذبتـك الحـــادثات وإنما

صفا الذهب الإبريز قبلك بالسبك

أمـــا في رســـول الله يوسف أســـوة

لمثلك مـحبـوسًا على الظلم والإفك

أقام جميل الصبر في الحبس برهة

فـآل بـه الصبـر الجـمـيل إلى الملك

مصادر ترجمته وأخباره:

تاريخ الخلفاء للسيوطى: (ص: ٣٥٩ ـ ٣٦٠).

الكامل في التاريخ لابن الأثير: (٧ / ١٩٥ ـ ١٩٨).

تاريخ بغداد: (٢ / ١٢١ ـ ١٢٦).

تاريخ الطبري: (٩ / ٣٨٩ ـ ٣٩٠).

مروج الذهب للمسعودي: (٤ / ١١٠، ١١٢، ١١٨، ١١٩، ١٢١، ١٢٢، ١٢٥).

سير أعلام النبلاء: (١٢ / ٥٣٢).

العبر في خبر من غبر: (٢ / ١٥ ـ ١٦).

الوافي بالوفيات: (٢ / ٢٩١ ـ ٢٩٤).

البداية والنهاية: (١١ / ١٠ ـ ١١ و ١٦ ـ ١٧).

شذرات الذهب: (٣ / ٢٤٦).

الأعلام: (٦ / ٧٠).

obeikandl.com

ابن المعتز

(٢٤٧ ـ ٢٩٦ هـ)

هو أبو العباس عبدالله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي، من الخلفاء الشعراء، خليفة يوم وليلة، فقد تولي المقتدر العباسي الحكم واستصغر فخلع، وولي ابن المعتز، ووافق على الحكم، ولكنه اشترط ألا يقتل بسببه مسلم، ولقب المنصف بالله، وقيل: الغالب بالله، ثم وثب عليه غلمان المقتدر وخلعوه، وسلّمه المقتدر إلى خادم اسمه مؤنس خنقه ثم دفنه في خرابة إزاء داره.

وكان ابن المعتز أديبًا بليغًا، وهو مصنف كتاب البديع وقد أكثر الشعراء من رثاءه، وفيه يقول علي بن محمد بن بسام الشاعر:

لله درُّك من ميت بمضيعة

ناهيك في العلم والآداب والحسب

ما فيه لوّ ولا لولا فتنقصه

وإنما أدركته حرفة الأدب

ومن عجيب المصادفات ذلك الخبر الذي يرويه بعض خدامه، فيقول: خرج يومًا يتنزه ومعه ندماؤه، وقصد باب الحديث وبستان الناعورة، وكان ذلك في آخر أيامه، فأخذ خزفة وكتب بالجص:

سقيًا لظل زماني

وعيشي المحمود

ولي كليلة وصلٍ

قدّام يوم صدود

ويقال: إنه قال في الليلة التي قتل في صبيحتها:

يانفس صبراً لعل الخير عقباك

خانتك من بعد طول الأمن دنياك

مرت بنا سحراً طير فقلت لها

طوباك ياليتني إياك طوباك

إن كان قصدك شرفًا فالسلام على

شاطي الصراة ابلغي إن كان مسراك

من موثق بالمنايا لا فكاك له

يبكي الدماء على إلف له باكي

فرب آمنة حانت منيتها

ورب مفلتة من بين أشراك

أظنه آخر الأيام من عمري

وأوشك اليوم أن يبكي لي الباكي

مصادر ترجمته وأخباره:

وفيات الأعيان: (٤ / ٧٦ ـ ٨٠).

الشذرات: (٣ / ٤٠٦ ـ ٤٠٩).

العبر في خبر من غبر: (٢ / ١١٠ ـ ١١١).

تاريخ الخلفاء: (ص: ٣٧٨ ـ ٣٧٩).

فوات الوفيات: (٢ / ٢٣٩ ـ ٢٤٦).

تاريخ بغداد: (١٠ / ٩٥ ـ ١٠١).

obeikandl.com

القاهر بالله

(٢٨٧ ـ ٣٣٩ هـ)

القاهر بالله أمير المؤمنين خليفة من خلفاء الدولة العباسية، وزر له رجال عظماء كالوزير المشهور ـ ابن مقلة ـ تولى الخلافة بعد أخيه المقتدر بالله المقتول سنة ٣٢٠ هـ، وعندما تولى الخلافة سعى في الأرض بالفساد والظلم والخراب، حيث صادر حاشية أخيه وعذبهم، ثم ضرب أم المقتدر وهي عليلة، فماتت شر ميته وهي معلقة بحبل، وصفه الصولي بقوله: «كان أهوج سفّاكاً للدماء، كثير التلوُّن، قبيح السيرة مدمن الخمار، ولولا جودة حاجبه سلامة لأهلك الحرث والنسل، وكان قد صنع حربة يحملها فلا يطرحها حتى يقتل إنسانًا».

وما زال مستمرًا في ظلمه وجبروته حتى كرهته القلوب، ونفرت منه النفوس، فنظر الله إلى عباده بعين لطفه، فسلط عليه طائفة هائجة من الجند، ثارت عليه وخلعته، وكحلت عينيه بمسمار محمى حتى سالتا، وكانت مدة خلافته سنة ونصفًا وأسبوعًا.

ويروي الرواة أنه كان تارة يحبس وتارة يطلق، فوقف يومًا بالجامع بين الصفوف وعليه جبة بيضاء وقال: تصدقوا عليّ، فأنا من قد عرفتم، فقام إليه رجل وأعطاه ألف درهم ثم منعوه من الخروج.

مصادر ترجمته وأخباره:

تاريخ بغداد: (١ / ٣٣٩ ـ ٣٤٠).

الكامل في التاريخ: (٨ / ٢٤٤ ـ ٢٤٦).

مروج الذهب: (٤ / ٢٤٠).

العبر في خبر من غبر: (٢ / ٢٥٦ ـ ٢٥٧).

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: (١٤ / ٨٢).

البدايه والنهايه: (١١ / ١٧٠ ـ ١٧١، ١٧٨، ٢٢٣ ـ ٢٢٤).

تاريخ الخلفاء: (٣٨٦ ـ ٣٩٠).

سير أعلام النبلاء: (١٥ / ٩٨ ـ ١٠٢).

شذرات الذهب: (٤ / ٢٠٨ ـ ٢٠٩).

الأعلام: (٥ / ٣٠٩ ـ ٣١٠).

obeikandl.com

أبو تغلب الحمداني

(٠٠٠ ـ ٣٦٩ هـ)

أبو تغلب فضل الله الغضنفر بن الحسن ناصر الدولة بن عبدالله الحمداني التغلبي من أمراء الموصل، تولى الإمارة سنة ٣٥٦هـ، وحدثت له أمور كثيرة مع عضد الدولة البويهى، انتهت بزحفه من بغداد إلى الموصل، ففر أبوتغلب هاربًا، وانتقل إلى الرملة بفلسطين، ثم تسلط عليه الأمير مفرج الطائي، وانهزم جيشه، فوقف يحمي نفسه وأصحابه، وضرب على ـ رأسه ثم أُخذ أسيرًا، وقتل.

وقرئ على حائط قصر من القصور أبيات مكتوبة وهي:

يا قصر ضعضعك الزما

ن وحط من عليا قدرك

وما محاسن أسطر

شرفت بهن متون جُدرك

واهًا لكاتبها الكري

م وفخره الموفي بفخرك

وتحتها مكتوب: وكتب الغضنفر بن الحسن بن عبدالله بن حمدان سنة اثنتين وستين وثلاثمائة.

مصادر ترجمته وأخباره:

سير أعلام النبلاء: (١٦ / ٣٠٦ ـ ٣٠٧).

الكامل في التاريخ: (٨ / ٦٩٩ ـ ٧٠٠).

فوات الوفيات: (٣ / ١٧٢ ـ ١٧٣).

وفيات الأعيان: (٢ / ١١٦ ـ ١١٧).

الأعلام: (٥ / ١٢٠).

obeikandl.com

شمس المعالي قابوس بن وشمكير

(... - ٤٠٣ هـ)

قابوس بن وشمكير بن زيار بن وردانشاه الجيلي، وصفه الثعالبي في يتمية الدهر بقوله: (خاتم الملوك، وغرة الزمان، وينبوع العدل والإحسان ومن جمع الله سبحانه له إلى عزة العلم بسطة القلم وإلى فصل الحكمة فصل الحكم).

وكان قابوس غزير العلم وافر الأدب، صاحب رسائل وأشعار حسنة بالعربية والفارسية.

وفي المنسوب إليه قوله:

خطراتُ ذكرك تستثير مودتي
فأحس منها في الفؤاد دبيبا

لا عضو لي إلا وفيه صبابة
فكأن أعضائي خُلقن قلوبا

وكان يوصف بجودة الخط، وكان الصاحب بن عباد إذا رأى خطة قال: هذا خط قابوس، أم جناح طاووس.

وظل في ملكه يصول ويجول حتى أخرجه منه عضد الدولة البويهي سنة ٣٧١هـ ثم استعاده قابوس سنة ٣٨٨هـ، وعندما عاد كان ناقمًا على أعدائه، فتسلط عليهم فنفرت منه نفوس شعبه، وقد ورد في وفيات الأعيان ما نصه: «وكان قابوس من محاسن الدنيا وبهجتها، غير أنه كان على ما خص به من المناقب والرأي البصير بالعواقب مُرَّ السياسة، لا يُساغ كأسه ولا يؤمن بحال سطوته وبأسه، يقابل زلة القدم بإراقة الدم، لا يذكر العفو عند الغضب، فمازال على هذا الخلق حتى استوحشت النفوس منه، وانقلبت القلوب عنه».

وحدث نتيجة هذا أن أجمع العسكر على خلعه وتولية ابنه مكانه، وعندما تولى ابنه ضبط الأمور، وأحكم البلاد، وما زال الجند خائفين من والده، فأخذوا يخوفون الابن من أبيه، ثم دخلوا عليه بيته، وكان الزمن شتاء فأخذوا ما عنده من الغطاء والكسوة، وكان يستغيث ويقول: اعطوني ولو جلد دابة، فمنعوه حتى جلد الدابة، فمات من شدة البرد.

فسبحان من بيده المنع والعطاء، فبعد إمرة جرجان وطبرستان يستغيث طالباً جلد دابة، وكيف لا وهو القائل:

قل للذي بصروف الدهر عيّرنا
هل حارب الدهر إلا من له خطر

أما ترى البحر تعلو فوقه جيفٌ
ويستقر بأقصى قعره الدرر

فإن تكن عبثت أيدي الزمان بنا
ومسَّنا من تمادي بؤسه ضرر

ففي السماء نجوم ما لها عددٌ
وليس يكسف إلا الشمس والقمر

مصادر ترجمته وأخباره:

وفيات الأعيان: (٤ / ٧٩ ـ ٨٢).

الكامل لابن الأثير: (٩ / ٢٣٨ ـ ٢٤٠).

يتيمة الدهر: (٤ / ٥٩).

الأعلام: (٥ / ١٧٠).

obeikandi.com

المعتدّ بالله

(٣٦٤ ـ ٤٢٨هـ)

المعتد بالله آخر ملوك بني أمية بالأندلس، اسمه هشام بن محمد بن عبدالملك بن عبدالرحمن الناصر، يكنى بأبي بكر، وقد تولى الخلافة بعد وفاة المستكفي بالله، فكان يخطب له في قرطبة، والبلاد في أسوأ حال عاجة مائجة بالفتن، وهو ضعيف لا قدرة له على قمعها، ثم حدث أن أهل قرطبة قتلوا وزيره لظلمه لهم وتعسفه عليهم، ولأنه سامهم الخسف والذل، واستوحشوا من المعتدّ بالله فخلعوه ثم أخرجوه من القصر ومعه نساؤه وخدمه، فلجأ إلى جامع قرطبة، يعطف عليه الناس، ويتصدقون عليه بالشراب والطعام، ثم لحق بسليمان بن هود، وأقام عنده حتى وافاه الأجل المحتوم.

ومن جميل ما قاله أبو العتاهية الشاعر:

تعالى الله يا سلمَ بنَ عمرو
أذلَّ الحرصُ أعناقَ الرجالِ

هب الدنيا تُساق إليكَ عفوًا
أليس مصيرُ ذاك إلى انتقالِ

أمالي عبرة في ذكرِ قومٍ
تفانوا كُلّما خطروا ببالي[1]

مصادر ترجمته وأخباره:

الكامل في التاريخ: (٩ / ٢٧٢، ٢٨٢ ـ ٢٨٤).

نفح الطيب: (١ / ٣٠١، ٤٣٢، ٤٣٨).

تاريخ الخلفاء ص: (٥٢٣ ـ ٥٢٤).

الذخيره: (١ / ٣٠٤ ـ ٣٠٥، ٦٠٢).

الأعلام: (٨ / ٨٨)

obeikandl.com

معتمد الدولة

(.... - ٤٤٤ هـ)

معتمد الدولة أمير كبير، دامت إمارته خمسين عامًا، واسمه: قَرْواش بن المقلد بن المسَيّب العقيلي، يكنى أبا المنيع، وقد شملت إمارته الموصل والكوفة والمدائن وسقي الفرات، وقد وصفه الواصفون بأنه كان نهابًا من الجبارين، فيه أدب وشعر، ومن ذلك قوله:

من كان يحمدُ أو يذم مورّثًا
للمال من آبائه وجدوده

فأنا امرؤ لله أشكر وحده
شكرًا كثيرًا جالبًا لمزيده

لي أشقر ملء العنان مغاور
يعطيك ما يرضيك من مجهوده

ومهند عضبٍ إذا جرّدته
خلت البروق تموج في تجريده

ومثقف لدن السنان كأنما
أم المنايا رُكبت في عوده

وبذا حويت المال إلا أنني
سلطت جود يدي على تبديده

oberkandl.com

وحكى بعض الناس قائلاً: كنت أساير معتمد الدولة قرواشاً ما بين سنجار ونصيبين، فنزل قصر العباس بن عمرو الغنوي، وهو مطل على بساتين ومياه كثيرة، فدخلت عليه فوجدته قائمًا يتأمل كتابة في الحائط فقرأتها، فإذا هي:

يا قصر عباس بن عمـ
ـرو كيف فارقك ابن عَمِرك؟

قد كنت تغتال الدهو
ر فكيف غالك ريب دهرك؟

واهًا لعزك بل لجو
دك بل لمجدك بل لفخرك

وتحت الأبيات مكتوب: وكتب عليّ بن عبدالله بن حمدان سنة ٣٣١، وهو سيف الدولة ابن حمدان:

ياقصر ضعضعك الزما
ن وحطَّ من علياء قدرك

ومحا محاسن أسطرٍ
شرفت بهنَّ متون جُدرك

واهًا لكاتبها الكري
ـم وقدره الموفي بقدرك

وتحتها مكتوب: وكتبه الغضنفر بن الحسن بن عبدالله بن حمدان بخطه في سنة ٣٦٢هـ.

obeikandl.com

وتحت ذلك مكتوب:

يا قـــصـــرُمـــا فـــعل الأولى

ضُـربت خـيـامـهم بُعـقـرك؟

أفـنـى الـزمـــــان عـلـيـــــهمُ

وطـواهـم تـطـويـلُ نـشـــــرك

آهًا لـقـــاصـــر عـــمـــر من

يخـتـــال فـيك وطول عـمـرك

وتحته مكتوب: وكتب المقلّد بن المسيب بن رافع بخطه سنة ٣٨٨هـ، وتحت ذلك مكتوب:

ياقـــصـــرُمـــا فـــعل الكرا

م الســـاكنون قـــديم عـــصـــرك

عـــاصـــرتهم فـــبـــذذتهم

وشـــأوتهم طرّاً بصـــبـــرك

ولـقـــد أثار تـفـــجـــعي

يـا ابـن المســـــيب رقمُ سطرك

وعـــلـــمـــت أنـــي لاحـــق

بك دائـبـــاً في قـــفـــو إثرك

وتحته مكتوب: وكتبه قرواش بن المقلد بن المسيب سنة ٤٠١هـ.

obeikandl.com

قال الراوي: فعجبت لذلك، وقلت له: الساعة كتبت هذا؟

قال: نعم، ولقد هممت بهدم هذا القصر فإنه مشؤوم.

ثم وقع خصام بينه وبين أخيه بركة بن المقلد، فقبض عليه وسجن في إحدى القلاع حتى مات، فسبحان من بيدِّ العز والذل، والرفعة والضعة، والفقر والغنى: ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴾.

مصادر ترجمته وأخباره:

فوات الوفيات: (٣ / ١٩٨).

الكامل لابن الأثير: (٩ / ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٦٤).

الشذرات: (٥ / ١٨٤ ـ ١٨٥).

العبر في خبر من غبر: (٣ / ١٩٨ ـ ١٩٩).

السير: (١٧ / ٦٣٣ ـ ٦٣٤).

المنتظم: (١٥ / ٣٢٧).

البدايه والنهايه: (١٢ / ٦٢).

وفيات الأعيان: (٥ / ٢٦٣ ـ ٢٦٥).

الأعلام: (٥ / ١٩٤).

obeikandl.com

ابن خزرون

(... ـ نحو ٤٥٠هـ)

هو عبدون بن خزرون الزناتي، أمير بني يرينان من زناته، في عهد ملوك الطوائف بالأندلس، أنشأ إمارة لم تطل مدتها، وكان موالياً للمعتضد بن عباد صاحب إشبيلية ثم انحرف عنه، ودعاه المعتضد إلى زيارته فلما جاءه قبض عليه وسجنه مكبلاً سنة ٤٤٥هـ، ثم قتله، وقالوا في صفة قتله: أنه أخرج من محبسه ثم أكرم، وأمر المعتضد بتطييب الحمام، وأدخله فيه، وجلس بإزاء الحوض، وخرج العبيد عنه، وقد أعدوا الجيّار والآجر فبنى عليه على دفة بيت الحمام، وأمر السخان أن يكثر الوقد فاشتعل الحمام، فقام يروم الخروج فلم يجد مخرجًا وكان آخر العهد به، وبعد مدة وجد رأسه في صندوق رؤوس الملوك الذين قتلهم المعتضد بقصره.

مصادر ترجمته وأخباره:

البيان المغرب: (٣ / ٢٠٦، ٢١٥، ٢٢٠، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٧١، ٢٧٢).

الأعلام: (٤ / ١٧٩).

obeikandi.com

أبو الوليد محمد بن جهور بن محمد

(٣٩١ ـ ٤٦٢هـ)

نشأ أبوالوليد محمد بن جهور في بيت مشهور بالوزارة، فوالده هو أبوالحزم جهور بن محمد الوزير المشهور، أفضل بني جهور وأمجدهم، استولى على قرطبة حقبة من الزمن ودبر أمورها، وضبط شؤونها وظلت قرطبة تحت حكمه، حتى توفي عام ٤٣٥، فخلفه عليها ابنه أبوالوليد محمد بن جهور، وحكمها مدة ثمانية أعوام، واقتفى سياسة والده وحزمه، وكان له ولدان الأول: عبدالرحمن، والثاني عبدالملك، وكانا يتنافسان على السلطة والولاية، فقسم أبوهما الأمور بينهما، حيث ولى عبدالرحمن أمر الجباية والإشراف على أهل الخدمة، وولى الثاني أمر الجند، ثم حدث أن دلف المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة، وقد ورد في البيان المغرب ما نصه: كان... عبدالملك قد اعتدى، وصحب الأرذال، واستباح أموال الناس، وسلّط عليهم أهل الفساد، وأهمل الأموال الشرعية، وأخاف الطرق، وشرع في المعاصي والفسوق،... وأظهر الخنى، فكثر الدعاء عليه من أهل قرطبة،... فسلط الله عليه نكاية ابن ذي النون له وتضييقه عليه).

ثم استنجد عبدالملك بالمعتمد بن عباد لمساعدته في صد المأمون صاحب طليطلة عنهم، فهب لمساعدته ونجدته، وحين انجلت الغمة وانكشفت الكربة، واجتمع أهل قرطبة على تولية المعتمد بن عباد عليهم، وقبضوا على عبدالملك وأبيه وإخوته، وجميع أهل بيته، وحملوهم إلى جزيرة شلطيش، حيث توفي بها أبوالوليد بعد أربعين يومًا من نكبته.

وفي الذخيرة لابن بسام الشنتريني صورة مؤثرة لبني جهور حين أخرجوا من قرطبة، وقد ورد فيها ما يلي:

«وأخرج الشيخ اليفن أبوالوليد بقية أسلاف الأندلس، كان في وقته مفلوج الشدق، مائل الشق، مغلوب الباطل والحق، لم تحفظ له حرمة ، ولا رعي فيه إلّ ولا ذمة،... ولما وسط به قنطرة قرطبة خارجًا منها على مركب هجين، وكان مما حفظ عنه قوله: اللهم كما أجبت الدعاء علينا، فأجبه لنا، فمات بعد أربعين يومًا من نكبته بجزيرة شلطيش مزال النعمة، مزال الحرمة، فتعالى المنفرد بالبقاء، جبار الأرض والسماء».

ويقول شاعر الأندلس ابن زيدون في بني جهور الذين كانوا في أعلى عليين، ثم صاروا في أسفل سافلين:

لولا بني جهور ما أشرقت بهم

غيد السوالف في أجيادها تلع

قوم متى تحتفل في وصف سؤددهم

لا يأخذ الوصف إلا بعض ما يدع

أبوالوليد قد استوفى مناقبهم

كالسيف بالغ في إخلاصه الصنع

إن السيوف إذا ما طاب جوهرها

في أول الطبع لم يعلق بها الطبع

ولابن جهور كتاب اسمه «البطشة الكبرى» وصف فيه كيفية خلعهم، وإخراجهم من قرطبة.

obeikandl.com

مصادر ترجمته وأخباره:

البيان المغرب: (٣ / ٢٣٢ ـ ٢٣٣).

الذخيرة، المجلد الثاني من القسم الأول: (ص: ٦٠٤ ـ ٦١١).

سير أعلام النبلاء: (١٧ / ١٤٠ ـ ١٤٠).

الكامل: (٩ / ٢٨٥).

نفح الطيب: (١ / ٣٠٣).

الأعلام: (٦ / ٧٤).

obeikandl.com

المعتمد ابن عبّاد

(٤٣١ ـ ٤٨٨هـ)

أحد أفراد دهره شجاعة وعلماً وذكاءً، كان أديبًا شاعرًا وكاتباً مترسلاً، محسنًا جوادًا كريمًا، أحبته الشعراء فكان ممدوحهم، كبير الشأن، خير من أبيه، وهو أندى الملوك راحة، وأرحبهم ساحة، واسمه محمد بن عباد بن محمد ابن إسماعيل اللخمي، يكنى بأبي القاسم، ويلقب بالمعتمد على الله، وهو صاحب إشبيلية وقرطبة وما حولهما، وكان مولده في باجة بالأندلس، وقد تولى إشبيلية بعد وفاة أبيه سنة (٤٦١هـ)، وامتلك قرطبه وكثيراً من مدن مملكة الأندلس، واتسع سلطانه وشمل بقعة من الأرض كبيرة بلغت مدينة مرسية، وصار محط الرحال، وكعبة الآمال، وقصده أعلام الناس من أمراء وعلماء وشعراء، وقيل: إنه ولد له مئة وثلاثة وسبعون ولدًا.

وما زال في صفاء ورغد ودعة من العيش حتى سنة ٤٧٨هـ، حيث استولى ملك الروم (الأذفونش) ألفونس السادس على طليطلة، وكان ملوك الطوائف وكبيرهم المعتمد ابن عباد يؤدون له الضريبة كل سنة، وحينما ملك طليطلة رد ضريبة المعتمد وأرسل إليه يهدده، ويدعوه إلى النزول له عما في يده من الحصون، فاستنجد المعتمد بيوسف بن تاشفين، ونشبت بينهما معركة (الزلاقة) والتي هُزم فيها الأذفونش، وأبيدت عساكره.

وبعد النصر عاد ابن تاشفين إلى مراكش، وقد أعجبته بلاد الأندلس، وبهره حسنها، وحسّن له أمراؤه أخذها، وأوحشوا قلبه على المعتمد بالله.

وبعد عام زار يوسف بن تاشفين الأندلس، فأحسن المعتمد بالله استقباله، والحفاوة به، وأحب الأندلسيون ابن تاشفين، وقد قرر وضع خلق من المرابطين يقيمون فيها، ثم عاد إلى بلاده، وثارت فتنة في قرطبة سنة (٤٨٣هـ) دالت بها الدنيا على المعتمد بالله، وقد قتل ابن له، ثم فتنة ثانية اشتعلت في قرطبة غير أن المعتمد أطفأ نارها فخمدت، ثم اتقدت، وظهر من ورائها جيش يقوده (سير بن أبي بكر الأندلسي) من قواد جيش ابن تاشفين، وحوصر المعتمد في إشبيلية، ثم تفرقت جموعه، وقتل ولداه (المأمون) و (الراضي)، وفي سنة (٤٨٤هـ) حُمل مقيدًا مع أهله، على سفينة، وأدخل على يوسف بن تاشفين في مراكش، ثم أمر بإرساله ومن معه إلى أغمات، وهي بلدة صغيرة وراء مراكش وبقي فيها إلى أن مات، وعندما سجن في أغمات عامين وزياده، كان في قلة وذلة فقال:

تبـــــــدّلت من ظلِّ البنود

بذُلِّ الحديد وثقل القيود

وكان حديدي سنانًا ذليقاً

وعضباً رقيقًا صقيل الحديد

وقد صار ذاك وذا أدهما

يعض بساقيّ عضَّ الأسود

وقيل: إن بنات المعتمد أتينه في عيدٍ، وكن يغزلن بالأجرة في أغمات، فرآهن في أطمار رثه، فصدعن قلبه، فقال.

فيما مضى كنت بالأعياد مسروراً

فساءك العيدُ في أغمات مأسورا

ترى بناتك في الأطمار جائعة

يغزلن للناس ما يملكن قِطميرا

برزن نحوك للتسليم خاشعة

أبصارهن حسيرات مكاسيرا

يطأن في الطين والأقدام حافية

كأنها لم تطأ مسكاً وكافورا

ولابن اللبّانة وقد وفد بها إلى السجن:

قصور خلت من ساكينها فما بها

سوى الأدم يمشي حول واقفة الدُّمى

كأن لم يكن فيها أنيس ولا التقى

بها الوفد جمعًا والخميس عرمرما

فكنتَ وقد فارقت مُلكك مالكاً

ومن ولهي أبكى عليك متمما

مصادر ترجمته وأخباره:

وفيات الأعيان لابن خلكان: (٥ / ٣٠).

سير أعلام النبلاء: (١٩ / ٥٨ ـ ٦٦).

نفح الطيب: (٢ / ١١١٩).

البيان المغرب: (٣ / ٢٤٤ و ٢٥٧).

تاريخ ابن الأثير: (١٠ / ٨٦).

شذرات الذهب: (٥ / ٣٨٣ ـ ٣٨٩).

الوافي بالوفيات: (٣ / ١٨٣).

الأعلام: (٦ / ١٨١).

obeikandl.com

المسترشد بالله

(٤٨٥ ـ ٥٢٩هـ)

أبو منصور الفضل بن أحمد بن المقتدي عبدالله بن محمد الهاشمي من خلفاء الدولة العباسية، بويع بالخلافة سنة ٥١٢ هـ، ومكث فيها مدة سبع عشرة سنة وثمانية أشهر وأياماً، وكان فصيحًا بليغًا يستدرك على كتابه الأغاليط ويصلحها، وحدثت في أواخر أيامه فتنة دبرها أمير أمرائه السلطان مسعود بن ملكشاه السلجوقي، فأعد لها المسترشد عدته، ولكنه هزم وأسر، وقال عند أسره مستشهدًا:

ولا عجبًا للأسد إن ظفرت بها

كلاب الأعادي من فصيح وأعجم

فحربة وحشيّ سقت حمزة الرَّدى

وموت عليّ من حُسام ابن مُلجم

ويقال: إنه رأى في نومه في الأسبوع الذي قتل فيه كأن على يده حمامة مطوقة، فأتاه آتٍ، وقال له: خلاصك في ذلك، فلما أصبح حكى لابن سكينة الإمام ما رأى، فقال: ما أولته يا أمير المؤمنين؟

فقال: أولته ببيت أبي تمام الطائي:

هنَّ الحمام فإن كسرت عيافة

من حائهن فإنهن حِمامُ

وخلاصي في حمامي، وليت من يأيتني فيخلصني مما أنا فيه من الذل والحبس.

وبعد منامه بأيام دخل عليه جمع من الباطنية فقتلوه ثم مثلوا به رحمه الله تعالى.

مصادر ترجمته وأخباره:

البدايه والنهايه: (١٢ / ٢٠٧ ـ ٢٠٨).

سير أعلام النبلاء: (١٩ / ٥٦١ ـ ٥٦٨).

شذرات الذهب: (٦ / ١٤٣ ـ ١٤٦).

العبر في خبر من غبر: (٤ / ٧٦ ـ ٧٧).

تاريخ ابن الأثير: (١١ / ٢٧ ـ ٢٨).

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: (١٧ / ٣٠٤).

طبقات السبكي: (٧ / ٢٥٧ ـ ٢٦٣).

فوات الوفيات: (٣ / ١٧٩ ـ ١٨٢).

الأعلام: (٥ / ١٤٧).

obeikandi.com

المغيث الأيوبي

(... - ٦٤٢هـ)

هو الملك المغيث عمر بن الصالح أيوب من أمراء الدولة الأيوبية، ومن خيار الملوك وأحسنهم شكلاً وأكملهم عقلاً، أسره الصالح إسماعيل وسجنه في برج قلعة دمشق، وحاول أبوه بكل ممكن في خلاصه فلم يقدر، وقيل: إنه قتل، وفي ذلك يقول ابن العماد في شذرات الذهب: «لم تحفظ عنه كلمة فحش، حبسه الملك إسماعيل وضيق عليه المسامري، فمات غمًا وغبنًا».

مصادر ترجمته وأخباره:

شذرات الذهب: (٧ / ٣٧٤).

البداية والنهاية: (١٣ / ١٦٥).

الأعلام: (٥ / ٤٢).

obeikandl.com

شجرة الدُّر

(... ـ ٦٥٥هـ)

شجرة الدُّر الصالحية، أم خليل، الملقبة بعصمة الدين، حكمت مصر مدة ثلاثة أشهر، وكان أصلها جارية من جواري الملك الصالح نجم الدين أيوب، اشتراها وتزوجها وحظيت لديه، ثم ولدت له غلامًا سماه خليلاً.

وصفها ابن العماد بقوله: «كانت بارعة الحسن، ذات ذكاء وعقل ودهاء، ونالت من السعادة أعلى المراتب، كانت تركية ذات شهامة وإقدام وجرأة».

وعندما توفي الملك الصالح، وكان جيشه في قتال الإفرنج، أخفت خبر موته واستمر كل شيء كما كان، وكانت تقول للجند والأمراء: السلطان مريض ما يصل إليه أحد، ثم أرسلت إلى ابنه (تورانشاه) وحينما علمت بوصوله إلى القدس انتقلت إلى القاهرة، فهددها وطلب منها الأموال، فخافت شره، ثم استوحش منه بعض مماليكه وقتلوه، وتولت أمر الحكم، وكان يخطب باسمها على منابر مصر والشام، وعظم سلطانها، وبلغ من قوتها أن أطلقت الملك فرنسيس ملك الأفرنج واشترطت عليه تسليم دمياط للمسلمين فوفى لها بذلك، ثم خلعت نفسها من السلطة، وولت وزيرها (عز الدين إيبك) أمور الخلافة، ولكنها ظلت محتفظة بالسيطرة عليه، ثم علمت أنه يريد الزواج من غيرها، فتعاونت مع خدمها على قتله، وعندما علم ابن عز الدين بالأمر، قبض عليها، وسلّمها إلى أمه، فأمرت جواريها بضربها، فماتت من جراء الضرب.

وقد عُرفت بقوة النفس، ورباطة الجأش، حيث أنها أحرقت كثيرًا من جواهرها عندما علمت بموتها.

ويقول ابن العماد ذاكرًا نهايتها، ومآل أمرها: «وآل أمرها إلى أن قتلت وألقيت تحت قلعة مصر مسلوبة، ثم دفنت بتربتها) فسبحانك اللهم بعد حكم مصر، والدعاء لها على المنابر، آل أمرها إلى القتل والسلب.

مصادر ترجمتها وأخبارها:

شذرات الذهب: (٧ / ٤٦٣ ـ ٤٦٤).

البداية والنهاية: (١٣ / ١٩٩).

سير أعلام النبلاء: (٢٣ / ١٩٩ ـ ٢٠٠).

العبر في خبر من غبر: (٥ / ٢٢٢ ـ ٢٢٣).

أعلام النساء: (٢ / ٢٨٦ ـ ٢٩٠).

الأعلام: (٣ / ١٥٨).

obeikandl.com

المنصور الأيوبي

(... ـ ٦٨٨هـ)

الملك المنصور من ملوك الدولة الأيوبية، واسمه محمد المنصور شهاب الدين بن إسماعيل بن محمد بن أيوب، ولاه أبوه سلطنة دمشق سنة (٦٤٠هـ).

قال عنه ابن مكتوم: رأيته سلطانًا ورأيته يستعطي، وكان شيخًا مهيبًا يلبس قباءً وعمامة مدورة، وهو من فتح مدينة طرابلس، وغنم المسلمون منها مالاً يوصف، ثم أخربها على الإفرنج وتركها خاوية، وما زالت تتقلب به أحوال الدنيا حتى صار يطلب بالأوراق، وتذكرني حاله بحال الشاعر الذي يقول:

كم رأينا من أُناسٍ هلكوا
وبكى أحبابُهم ثُم بكُوا

تركوا الدنيا لمنْ بعدهم
وُدُّهُم لو قدّموا ما تركوا

قلّب الدهرُ عليهم فلكًا
فاستداروا حيثُ دارَ الفلكُ[1]

وبقول الآخر:

هي الدنيا تقولُ بملءِ فيها
حذارِ حذارِ من بطشي وفتكي

فـــلا يغـــرركم منـي ابتـــســـامٌ

فـقـولي مُـضـحكٌ والفـعـلُ مُـبكي[٢]

مصادر ترجمته وأخباره:

شذرات الذهب: (٧ / ٧١١).

العبر في خبر من غبر: (٥ / ٣٥٦).

البدايه والنهايه: (١٣ / ٣١٥ ـ ٣١٦).

الأعلام: (٦ / ٣٤).

(١) الشوارد لابن خميس: (٣ / ٣٩٠ ـ ٣٩١).

(٢) الشوارد لابن خميس: (٣ / ٣٩٠).

obeikandl.com

الشريف عليّ

(٨٠٧ ـ ٨٥٣ هـ)

هو عليّ بن حسن بن عجلان بن رميثة الحسني، أبوالقاسم، من أشراف الحجاز، كان حسن المحاضرة كريمًا، على شيء من العلم والأدب حتى قيل: إنه أحذق بنى حسن وأفضلهم.

وقرئ عنده البخاري مرارًا، واشتغل بالصرف ولم يلم بالعربية، وولي إمرة مكة عن أخيه بركات سنة ٨٤٥ هـ، ثم نقل عنه الأعداء أشياء أوغروا بها قلب السلطان فقبض عليه وعلى أخيه إبراهيم، ووضعهما في برج القلعة في القاهرة، ثم نقل مع أخيه وجماعة إلى الإسكندرية ثم إلى دمياط فمات بها مسجونًا مطعونًا.

وكتب عنه قصيدة فاشية اللحن يقول فيها:

وإن نال العلا قرم بقوم
رقيت علوها فرداً وحيداً

وفيها:

وقد جاء في كتاب الله صدقًا
بقول عز قائله الحميدا

ترى الحسنات نجزيها بخير
وبالسيئات ستورا

وواعـــد أن بعـــد العـــســـر يســـراً

فـــــلا عـــــز يدوم ولا ســـــعـــــودا

مصادر ترجمته وأخباره:

الضوء اللامع: (٥ / ٢١١).

الأعلام: (٤ / ٢٧٤).

obeikandl.com

قانصوه الغُوري

(٨٥٠ ـ ٩٢٢هـ)

قانصوه بن عبدالله الظاهري الأثرفي الغوري، يكنى بأبي النصر، سيف الدولة، وكان يلقب بالملك الأشرف، وتولى سلطنة مصر، وأقام سلطانًا خمس عشرة سنة تقريباً، خدم سلاطين الدنيا طيلة حياته، وتولى حجابة الحجاب بحلب، ثم كتب الله جلَّ جلاله أن يبايع بالسلطنة بقلعة الجبل في القاهرة سنة ٩٠٥ هـ.

وصفه الواصفون، ونعته الناعتون من المؤرخين والعلماء الأقدمين بأنه كان ذا رأي وفطنة وعقل وذكاء، واشتهر بالدهاء، وشدة القوة والشجاعة، بل كان شديد العسف، قاهرًا، قمع الأمراء، وأذل المعاندين، حتى اشتد ملكه، وقويت هيبته، فهابته الملوك وهادنته، واشتهر ببناء الآثار الكثيرة، فعمر الجوامع والقصور والمنتزهات، وقد عُرف عنه الإلمام بالموسيقى والأدب، ورغم هذا إلا أنه كان شديد الطمع، كثير الظلم والعسف، مصادرًا للناس في أخذ أموالهم، وأبطل الميراث في أيامه حتى إنه كان إذا مات أحدٌ أخذ ماله جميعًا، فجمع أموالاًعظيمة وخزائن وأمتعة، واتخذ مماليك لنفسه فصاروا يظلمون الناس، وأظهروا الفساد، وأضروا العباد.

ويحكى أن بعض مماليكه اشترى متاعًا ولم يرضَ صاحبه بقيمته، فقال له: شَرْعُ الله، فضربه بالدبوس، فشجَّ رأسه، وقال: هذا شرع الله، فسقط مغشيًا عليه، وذهب بالمتاع ولم يقدر أحدٌ على الكلام، فرفع بعض الصالحين يديه ودعا على الجندي وعلى سلطانه بالزوال، ثم قالت له نفسه: كيف يزول

ملك هذا السلطان العظيم الذي ملأت جنوده وسطوته الأرض، غير أن الله تعالى أمهله ولم يمهله، واختبره فلم يتركه، ولم يمض إلا قليل على دعوة هذا الرجل الصالح التي وافقت بابًا مفتوحًا من أبواب السماء وقال لها الله تعالى وجبت وجبت.

﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ﴾.

﴿بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ).

ثم وقعت فتنة بينه وبين السلطان سليم العثماني، حيث قصده السلطان سليم بعسكر عرمرم جرار، بعثه الله تعالى نصرًا وفوزًا ونجاة لأولئك الناس المظلومين، والذين فُلّ جمعهم، وهتكت أستارهم، وصودرت أموالهم، لا يبقي ولا يذر، ولا يأتي على شيء إلا هتكه وأفناه، فما كان من قانصوه الغوري إلا أن هبَّ للدفاع عن نفسه، وحدث قتال عظيم بينهما في «مرج دابق» على مقربة من حلب، وانهزم عسكر قانصوه الغوري، فأغمي عليه، وهو على فرسه.

وورد في الكواكب السائرة تصويرٌ عظيمٌ للموقف وما حدث، فيقول صاحب الكتاب بأسلوب مؤثر: «وغشي على الغوري، وكان بطينًا سمينًا، فطاح عن فرسة ثم طاح عنها ثانيًا فأقعدوه وقالوا له: اثبت لنا، فقال لهم: ما بقي شيء فرغت وأسكت من وقته، ثم زُحف عليهم... فتفرق عنه عسكره، وتركوه ملقى على الأرض، فمات ولم يعلم به أحد، وصار عبرة لمن اعتبر ، وصارت حاله كما قيل:

جاءته من قبل المنون إشارة

فهوى صريعًا لليدين وللفم

ورمي بمحكم درعه وبرمحه

وامتد ملقي كالفنيق الأعظم

لا يستجيب لصارخ أن يدعه

أبداً ولا يرجى لخطب معظم.

مصادر ترجمته وأخباره:

الشذرات: (١٠ / ١٥٩ ـ ١٦١).

الكواكب السائرة: (١ / ٢٩٤ ـ ٢٩٧).

الأعلام: (٥ / ١٨٧).

obeikandl.com

المتوكل السعدي

(... ـ ٩٨٦هـ)

هو محمد بن عبدالله بن محمد الشيخ الحسني من آل زيدون، أبوعبدالله السعدي، الملقب بالمتوكل على الله، من ملوك الدولة السعدية بالمغرب، وصف بأنه كان متكبرًا، تيّاهًا عسوفًا على الرعية، وكان عالماً بالفقه والأدب، أخذت له البيعة بمراكش سنة٩٨١هـ بعد وفاة أبيه بعهد منه، وأرسلت إلى فاس، وناوأه عمه عبدالملك بن محمد الشيخ وآخرون.

وكان الترك العثمانيون قد توغلوا في المغرب، واستولوا على الجزائر، وزالت على يدهم في أيامه أو قبيل دولته دولة الحفصيين في تونس، وأخذ السلطان سليم العثماني يعمل على امتلاك المغرب كله، فأرسل جيشًا لقتاله، فاستولوا على فاس، وفرَّ المتوكل منهزمًا إلى مراكش، واتسعت دائرة القتال، وتتابعت الهزائم عليه، ثم استنجد بحكومة البرتغال، فارتطم البرتغاليون في حرب طحنتهم، وقتل عظيمهم (سباستيان) غريقًا في النهر.

وعندما رأى المتوكل ظفر المسلمين بجيش البرتغال وهو معه أدرك هول فعلته، فألقى نفسه في النهر وغرق، فانتشل وسلخ جلده، وحشي تبنًا وطيف به في مراكش وغيرها، وكانت العامة في المغرب تلقبه بالمسلوخ.

مصادر ترجمته وأخباره:

الأعلام: (٦ / ٢٣٩).

obeikandi.com